

أبو عمرو الشيباني ومنهجه في الشرح المنسوب إليه على المعلقات التسع

سمية حسنعليان^١، سيد محمدرضا ابن الرسول^٢

١. أستاذة مساعدة - قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان

٢. أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان

(تاريخ الاستلام: ١٤٣٤/٧/٢١؛ تاريخ القبول: ١٤٣٤/٩/٢٧)

ملخص المقال

نظراً للشهرة الواسعة للمعلقات بوصفها قصائد انتهت إليها تجارب العرب الجاهليين، وهي بلغت الذروة في الجمال الشعري، والتصوير، والخيال، فضلاً عن أنها تضم مجموعة كبيرة من الألفاظ الغريبة، وأن كثيراً من أبياتها شواهد في علوم البلاغة والصرف والنحو والتفسير... لذلك اهتم بها العلماء في مختلف العصور، وأخذوا في شرحها، ولعل من أقدم هذه الشروح هو كتاب أبي عمرو الشيباني "شرح المعلقات التسع".

هذا من جهة، ومن جهة أخرى نظراً لأهمية دراسة منهج التأليفات والكتب وتحليلها ونقدها لإفادة الباحثين منه وإنارة الطريق أمامهم، يهدف هذا البحث إلى دراسة منهج أبي عمرو الشيباني في شرحه على المعلقات، مستخدماً المنهج التوصيفي- التحليلي.

أظهرت نتائج الدراسة أن شرح الشيباني على المعلقات اتسم بالإيجاز والاختصار، مشيراً إلى المعنى الغريب من المفردات، موضحاً بعض القضايا النحوية، مستعملاً الشواهد المختلفة في شرحه، فضلاً عن أن بعض التوصيفات التي قد ذُكرت في المقالة تجعل قارئ هذا الشرح يشك في نسبته إلى أبي عمرو الشيباني.

الكلمات الرئيسية

أبو عمرو الشيباني، المعلقات، المنهج، شرح المعلقات التسع.

مقدمة

للمعلقات أهمية كبيرة ومكانة متميزة لدى الباحثين العرب القدامى والمحدثين، ويمكن تحديد بدايات جمع هذه القصائد الشهيرة بقول النحاس بعد أن فرغ من شرح قصائد امرئ القيس، وطرفة، وزهير، ولييد، وعنترة، والحارث وعمرو بن كلثوم: «واختلفوا في جمع هذه القصائد السبع، فقيل إن العرب كان أكثرها يجتمع بعكاظ ويتناشدون، فإذا استحسن الملك قصيدة قال علّقوها وأثبتوها في خزانتي، وأما قول من قال: إنها علّقت في الكعبة، فلا يعرفه أحد من الرواة، وأصح ما قيل في هذا أن حماداً الراوية لما رأى زهد الناس في حفظ الشعر، جمع هذه السبع وحضّم عليها، وقال لهم هذه المشهورات، فسميت القصائد المشهورة لهذا» (النحاس، دون تا، ١٢٥).

وهي في الحقيقة من أقدم المصطلحات التي عرفها تاريخ الأدب العربي، كما أنه كان يعرف مصطلحات "الحواليات" و"النقائض" و"الهاشميات" و... طوال عصوره المختلفة. ونظراً لأهمية المعلقة في الأدب العربي، تناولها عدد من العلماء بالشرح والتفسير والتوجيه اللغوي والنحوي والصرفي والصوتي - وما زال كثير من العلماء يهتمون بها وبشرحها - ومن أسباب كتابة شروح المعلقة هي: سبب تاريخي، سبب لغوي، وسبب عاطفي. ومن هؤلاء العلماء الذين اهتموا بشرح هذه القصائد هو أبو عمرو الشيباني في كتابه "شرح المعلقة التسع".

ولا شك أن للتعرف على منهج التأليفات المختلفة فوائد جمة؛ منها أنها تعين الباحثين في معرفة صحة نسبة هذه التأليفات والكتب إلى أصحابها، إذا كان قد دخل شك وريبة في قلوب المحققين والباحثين في نسبة تلك الكتب إلى أصحابها، وكتاب أبي عمرو الشيباني من هذه الكتب؛ إذ هناك بعض القرائن والشواهد، يجعل الباحث أن يشك في نسبة هذا الشرح إليه. وأهمية هذه المقالة، أي دراسة منهج الشيباني في هذا الكتاب تظهر عندما افترضنا أن سيقوم الباحثون إلى دراسة منهج الشيباني في سائر كتبه دراسة أسلوبية، وسيقارن منهجه في هذا الكتاب [شرح المعلقة التسع] إلى منهجه في كتبه الأخرى سيتبين الأمر في هذه النسبة.

من أهمّ الأهداف التي تقصد هذه المقالة أن تحققها هي: بيان المصادر التي اعتمدها الشارح في شرح المعلقات، والتعرّف على أهمّ السمات البارزة لمنهج الشيباني في كتابه "شرح المعلقات التسع"، ومعرفة مدى اهتمام الشيباني بالنحو، والبلاغة والرواية والنقد في كتابه. جدير بالذكر أن لمعرفة المنهج طريقتين: الطريق الأول: أن ينصّ المؤلف (الشارح) على منهجه في أول كتابه في المقدمة، كما فعل الشراح المعاصرون في شرحهم للمعلقات، كمفيد قميحة، أو أن ينصّ عليه في مواضع متفرقة في الكتاب. والطريق الثاني: أن يُعرف المنهج عن طريق الاستقراء. وبما أن أبا عمرو الشيباني لم يُشر إلى منهجه في مقدمة كتابه، بل قل أن المخطوطة كانت تفقد المقدمة، كما ذكر محقق الكتاب، فعلياً أن نستقرئ منهج الشيباني في شرحه بقراءة نصوصه، المنهج الذي يتبعه هذا البحث هو التوصيفي- التحليلي. ولا يفوتنا الذكر بأنه بالنسبة إلى دراسة المنهج للتأليفات المختلفة التاريخية والتفسيرية، فهناك مقالات وكتب قيّمة، ولكن بالنسبة إلى منهج شراح المعلقات، فنكاد لا نجد بحثاً شاملاً وافياً للموضوع.

نبذة عن حياة أبي عمرو الشيباني

تسكت المراجع كلها عن السنة التي وُلد فيها إسحاق بن مرار، أبو عمرو الشيباني الكوفي، الذي كان يعرف بأبي عمرو الأحوص، وهو مولى وليس من بني شيبان، وإنما كان مؤدباً لأولاد ناس من بني شيبان، فنسب إليهم، وقيل إنه كان من الدهاقين. وإنما قيل له الشيباني، لأنه كان يؤدب ولد هارون الرشيد، الذين كانوا في حجر يزيد بن يزيد الشيباني، فنسب إليه، وكان أبو عمرو راوية أهل بغداد، واسع العلم باللغة والشعر، ثقة في الحديث، كثير السماع، وله كتب كثيرة في اللغة جواد (الحموي، ١٩٨٠، ج٦، ص٧٧).

عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني ابنه قال: «لما جمع أبي أشعار القبائل، كانت نيفا وثمانين قبيلة، فكان كلها عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس، كتب مصحفاً بخطه، وجعله في مسجد الكوفة، حتى كتب نيفا وثمانين مصحفاً. وكان يقول: تعلموا العلم، فإنه يوطئ الفقراء بسط الملوك» (الحمودي، ١٩٨٠، ج٦، ص٧٧).

وقال الخطيب: «كان أبو عمرو نبيلاً، وفاضلاً، عالماً بكلام العرب، حافظاً للغاتها، عمل

كتاب شعراء مضر، وربيعة، ويمن، إلى ابن هرمة، وسمع من الحديث سماعاً واسعاً، وعمر عمراً طويلاً، حتى أناف على التسعين، وهو عند الخاصة من أهل العلم، والراوية مشهور معروف والذي قصر به عند العامة من أهل العلم أنه كان مستهتراً بالنبيذ والشرب له. قرأت بخط أبي منصور الأزهري، في كتاب نظم الجمان للمنزدي، حدثني أبو بكر محمد بن أحمد، بن النضر المثنى قال: حدثني سعيد بن صبيح قال: حدثني أبوك يعني النضر، قال: كنت عشية الخميس عند إسماعيل بن حماد، بن أبي حنيفة، وجاء أبو عمرو الشيباني فقال لي: من هذا الشيخ؟ قلت، هذا أبو عمرو الشيباني، صاحب العربية والغريب» (الحمودي، ١٩٨٠، ج٦، ص٣٢٩).

ولم تُشر الكتب التي وردت فيها ترجمة أبي عمرو الشيباني إلى أساتذته أو إلى العلماء الذين أخذ عنهم العلم والأدب، ولكنَّ أبا بكر الخطيب قال ذاكراً أبا عمرو: «تلاميذه الذين رووا عنه فمنهم: ابنه عمرو، وأحمد بن حنبل الذي كان يكتب عنه الحديث، وأبو عبيد القاسم بن سلام. هو كوفي نزل بغداد، وحدث بها عن ركين الشامي. وكان ثقة. قال ثعلب: وكان مع أبي عمرو الشيباني من العلم والسماع، عشرة أضعاف ما كان مع أبي عبيدة، ولم يكن في أهل البصرة مثل أبي عبيدة، في السماع والعلم» (الحمودي، ١٩٨٠، ج٦، ص٣٢٩).

وله من التصانيف: (ابن النديم، ١٩٩٦، ص٧٤؛ السيوطي، ١٣٨٤، ص١٩٢) "الخيل"، "اللغات" وهو المعروف بـ"الجيم" ويعرف أيضاً بكتاب الحروف، ولقد عهد (مجمع اللغة العربية) بتحقيق الجزء الأول من هذا الكتاب للأستاذ إبراهيم الأبياري، فتولّى ذلك وقام بمراجعة الجزء الأستاذ محمد خلف الله أحمد وصدر الكتاب سنة ١٩٧٤م في مجلد بلغت صفحاته ٣١٦، والمجلد الثاني رأى النور في عام ١٩٧٥م بتحقيق عبد العليم الطحاوي بمراجعة محمد مهدي علام، والمجلد الثالث قد طُبع في العام نفسه بتحقيق عبد الكريم العزباوي ومراجعة عبد الحميد حسن، وطبعته أيضاً الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية في العام نفسه. (الجاسر، ١٤١٠، ص٦٥٤) "النوادر الكبير"، وذكر كامل أن أبا القاسم علي بن حمزة البصري صحح أخطاءه في كتاب التنبهات على أغلاط الرواة (كامل، ١٩٧٣، ص٣٩). "غريب الحديث"، "النخلة"، "الإبل"، "خلق الإنسان"، "كتاب الحيل"، "شرح الفصيح" وهو غير كتاب فصيح ثعلب، وذهب المستشرق فلوجل في كتابه عن المدارس النحوية أن كتاب الفصيح يعزى إلى أبي عمر

الزاهد المسمى غلام ثعلب ومن هنا جاء اللبس (كامل، ١٩٧٣، ص ٣٩). "النحل والعسل" ذكر هذين الأخيرين صاحب كشف الظنون (حاجي خليفة، دون تا، ج ٥، ص ١٩٧). روى أبو عمرو الشيباني بعض الدواوين الشعرية ووجه همه في جمع الأشعار والألفاظ، منها ديوان أبي دهب الجمحي.

أما مصادره في الشعر وجمعه إياه، فأكثرها معروفة، عدّها مراد كامل في بحثه عن هذا العالم في مجلة مجمع اللغة العربية، منها: "دواوين الشعر، أشعار القبائل أي أنه كان يجمع ديواناً لشعر كل قبيلة على حدة وتوصل إلى جمع أكثر من ثمانين ديواناً... والحقيقة أنه لم يصل إلينا أي ديوان من هذه الدواوين إلى الآن، وإذا رجعنا إلى ديوان الهذليين للسكري، وهو الديوان الفريد الذي وصل إلينا من دواوين القبائل، قدرنا أن دواوين القبائل كانت على هذا المنوال" (كامل، ١٩٧٣، ص ٣٧).

كما أن المصادر لم تنوه بسنة مولد أبي عمرو الشيباني، فاختلفت في سنة وفاته أيضاً، «قال ابن كامل: مات إسحاق بن مرار في اليوم الذي مات فيه أبو العتاهية وإبراهيم النديم الموصلي سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد. وقال غيره: بل توفي سنة ست ومائتين، وعمره مائة وعشر سنين، وهو الأصح، رحمه الله تعالى» (الخطيب البغدادي، ج ٦، ص ٣٢٩).

وقال ابن السكيت: مات أبو عمرو، وله ثمان عشرة ومائة سنة، وكان يكتب بيده إلى أن مات، وكان ربما استعار مني الكتب، وأنا إذ ذاك صبي آخذ عنه، وأكتب من كتبه (الحموي، ١٩٨٠، ج ٦، ص ٧٨).

منهج الشيباني في شرحه على المعلقات التسع

وهنا نشير إلى أهم خصائص منهج أبي عمرو الشيباني في شرحه على المعلقات التسع، ألا ونبدأ بذكر مصادره في شرحه، مروراً بشرحه النحو والألفاظ الغريبة والمعنى والشواهد وختاماً بالنقد والبلاغة:

مصادر الشيباني في شرحه

الجدول التالي يبيّن لنا مأخذ أبي عمرو الشيباني في شرحه للمعلقات، وهذا الشرح من أقدم الشروح التي ندرسها في هذه الرسالة:

الجدول رقم ١. مصادر الشيباني في شرحه على المعلقات

مرات الأخذ	مصادر الشيباني	التسلسل
٣٩	الأصمعي	١
٣٢	أبو عبيدة	٢
٢٢	سيبويه	٣
١٣	المبرد	٤
١٠	يعقوب ابن السكيت	٥
٨	الفراء	٦
٧	أحمد بن عبيد	٧
٦	ابن كيسان	٨
٦	أبو عمرو بن العلاء	٩
٥	الخليل	١٠
٥	ابن الأعرابي	١١
٣	السجستاني	١٢
٣	النحاس	١٣
٣	الأخفش	١٤
٣	يونس بن حبيب	١٥
٢	ابن الأنباري	١٦
٢	هشام	١٧
٢	أبو زيد	١٨
١	أبو إسحاق الزجاج	١٩
١	الرياشي	٢٠
١	مجاهد	٢١
١	عمارة	٢٢
١	الكسائي	٢٣
١	أبو العباس ثعلب	٢٤
١	الكلابي	٢٥
١	المازني	٢٦
١	الطوسي	٢٧
١	محمد بن عمرو بن أبي عمرو الشيباني	٢٨

كما يظهر من الجدول، أنه استعان الشارح بالنحويين واللغويين في شرحه المعلقات. وإذا دققنا في العلماء الذين أخذ عنهم أكثر، فنلاحظ أن معظمهم من علماء مالوا إلى النزعة البصرية، كالأصمعي الذي احتل الرتبة الأولى في ثبت مأخذ الشيباني، وسيبويه... ولعل هذا دليل على أن أبا عمرو كان مائلاً إلى المذهب البصري أكثر من ميله إلى المذاهب الأخرى. ولكننا نجد استعان بعلماء من أصحاب المذهب الآخر، كما أنه أخذ عن الفراء.

وكانت هناك مجموعة من المآخذ والمصادر المبهمة غير المحددة التي عبر عنها بـ"يروى" (٢٠، ٢٢، ٢٥، ٢٦، و...)، "بعض أهل اللغة" (١٩٩)، "الأكثرين" (١٥٤)، "بعضهم" (١٥٤)، "أهل اللغة" (٢٣٧)، "أكثر أهل اللغة" (١٨٧، ١٩٧، ٣٤٤، ٣٤٥)، "بعض المفسرين" (١٤٢، ١٦٨)، "أهل النظر" (١٨٢)، "أهل التفسير" (٢٥٦)، "النحويون" (٢٧٢)، "بعض النحويين" (١٩٩)، ...

وإذا نظرنا إلى الجدول مرة أخرى، نلاحظ أن هناك أسماء كابن الأنباري، النحاس، وابن السكيت، المازني، والطوسي الذين كانوا متأخرين في الزمن عن أبي عمرو الشيباني، إذ أن نحن أمام احتمالين:

الأول: ناسخ المخطوطة هو الذي أخذ عنهما ونسبه إلى الشارح الذي هو أبو عمرو الشيباني. الثاني: الشارح ليس الذي نزعمه وهو أبو عمرو الشيباني، بل الشارح هو الآخر غيره، كما أن همّو أشار إلى أن مخطوطة هذا الشرح الذي حققه هو كانت قد فقدت المقدمة والصفحات الأخيرة؛ إذ جعلت المخطوطة مجهولة، ولذا عنونها الكاتب الذي علق عليها بالتصانيد المجهولة (١٢). يتركز جلّ اهتمام أبي عمرو الشيباني في شرحه على الألفاظ والرواية، إلا أن هناك إشارات إلى النحو وقضاياها حتى جعلنا نشك في نسبة هذا الشرح إليه، كما أن الدكتور عزّ الدين بدوي رفض نسبة هذا الشرح إلى أبي عمرو الشيباني؛ لأنه لم يكن من العلماء المهتمون بالنحو ومسائله في كتاباتهم (الشيباني، ٢٠٠١، ص ١٠). ولا نعرف هل الناسخ هو الذي أضافه إلى الشرح، أو الشارح في الأصل لم يكن أبا عمرو. وزعم همّو محقق هذا الكتاب أن شأن الشارح في الكتاب هذا هو شأن شراح آخرين كابن الأنباري والنحاس (الشيباني، ٢٠٠١، ص ١١). وهذه كلها اعتبارات واحتمالات وأوهام؛ لأن مثل هذه الأقوال تتطلب دراسات أسلوبية كاملة في كل مؤلفات الشيباني للتعرف على منهجه في كتبه لتطبيقه على هذا الكتاب في شرح المعلقات. وأما القول بأن شأنه في شرحه شأن ابن الأنباري والنحاس، فلا شك أن كل هؤلاء

العلماء كانوا من الشراح والعلماء في اللغة والنحو، ومن الطبيعي أن يتشابه أسلوبهم؛ لأن الشرح في القديم لم يتجاوز في الغالب عن شرح اللفظة والعبارة.

أما عنصر شرح الألفاظ فشأن الشيباني شأن سائر الشراح؛ لأن المعنى لن يوضح إلا بشرحها، والمعلقات تحتوي على مجموعة ضخمة من المفردات والألفاظ التي أصبحت بعد مضي زمن غير مألوفة لأهل اللغة، ولا بد من شرحها وبيان معناها.

أما الرواية والاهتمام بها في شرحه، فلعل مرد هذا أن الشيباني كان راوية كما أشرنا سابقاً في حياته أنه قد جمع كثيراً من أشعار العرب وجعلها تحفظ في بطون أمهات الكتب طوال العصور.

شرح الغريب والألفاظ الصعبة

١. إنه كان يشير حيناً إلى جمع اللفظة إذا وردت مفردة في البيت، وهناك نماذج كثيرة في شرحه وإن كانت أقل إذا قارناً بينه وسائر شراح المعلقة، كابن الأنباري والنحاس، ولكننا هنا نشير إلى بعضها:

قال في لفظه «وكناتها» في بيت لمعنة امرئ القيس، بعد أن أشار إلى الرواية الأخرى لها وهي «وكراتها» قال: «قيل لا واحد لها فمن قال واحدا وكنة جمع وكنة على وكنات، ... وقال أبو حاتم جمع وكراً على وكراً ثم جمع وكراً على وكرات، وكذلك وكنات فهي جمع الجمع» (الشيباني، ٢٠٠١، ص ١٦١).

كما أشار إلى أن لفظه «الضعينة» في بيت لزهير تجمع على الأضغان، والضغائن (الشيباني، ٢٠٠١، ص ٢٠٣).

أو ذكر جمع اللفظة القليل والكثير كقوله في كلمة «الذباب»: «الذباب واحد مؤدّى على جماعة، والجمع أذبة في أقل العدد، وذبان في الكثرة» (الشيباني، ٢٠٠١، ص ٢٢٨).

وأشار إلى مفرد الكلمات حيناً آخر، كقوله في لفظه «العقاص»: «وأما العقيص: الخلة المجموعة من الشعر، والجمع: عقيص، عقاص، وعقائص» (الشيباني، ٢٠٠١، ص ١٤٩).

٢. الإشارة إلى اللغات المختلفة للكلمة في البيت، وأشار إلى اللغات في ٤١ كلمة في شرحه، ومنها قوله في لفظه «شمأل» في البيت التالي لمعلقة امرئ القيس:

فَتَوَضَّحَ فَالْمِقْرَاءِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ

«الشَّمَال، الشَّمَال، الشَّمَل واحد» (الشيباني، ٢٠٠١، ص ١٢٢).

٣. بيان علّة تسمية لفظة ما باسمها، وهذا الأمر يتطلب من الشارح أن يكون عارفاً باللغة معرفة عالم، وأشار إلى وجه تسمية المفردات في عشرين موضعاً من شرحه، منها قوله في وجه تسمية لفظة «البلدة» في البيت التالي لمعلقة طرفة:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ فَتَى؟ خِلْتُ أَنَّنِي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

«ويقال لكركرة البعير بلدة؛ لأنها تؤثر في الأرض، أو تؤثر فيها الأرض، وبهذا سميت البلدة بلدة؛ لأنها موضع مواطن الناس وتأثيرهم» (الشيباني، ٢٠٠١، ص ٥٧).

وأشار أيضاً في الموضعين من شرحه إلى تسمية الألقاب، هما:

الأول: في شرح البيت الـ ٥٣ للأعشى في لفظة «ذو الجدّين»: «وذو الجدّين قيس بن مسعود بن خالد أسر أسيراً له فداء كثير، فقال رجل: إنه لذو جد في الأسر، وقال آخر إنه لذو جدّين فصار يُعرف به» (الشيباني، ٢٠٠١، ص ٣٢).

والثاني: «ذو البرّة» في شرح البيت الـ ٦٩ لعمرو: «ذو البرّة اسم رجل من بني تغلب بن ربيعة كان يُسمى برّة القنفذلف بذلك، لكثرة ما كان على أنفه من الشعر، والبرّة الحلقة تكون في أنف البعير. (الشيباني، ٢٠٠١، ص ٣٣١).

٤. الإشارة إلى الكلمات التي تدخل في الأضداد، وذلك في موضعين من شرحه:

- لفظة «معبد» في البيت الرابع عشر لمعلقة طرفة، إذ هي بمعنى: المذلّل والمكرم (٤٥).
- لفظة «الجلل» في شرحه البيت الـ ٨١ للشاعر نفسه، إذ هي بمعنى: العظيم والصغير (٧١).

٥. الاهتمام بتكوين اللفظة صرفياً كذكره عند كون الكلمة مصغرة، وذلك في موضعين من شرحه، هما:

- لفظة «الضحى» في البيت الـ ٤٧ لمعلقة امرئ القيس، إذ تصغيرها «ضحى» (والقياس ضحية، إلا أنه لو قيل ضحية لأشبهه تصغير ضحوة) (١٥٠).
- لفظة «حدياً» في البيت الـ ٥٤ لمعلقة عمرو، وهو تصغير «حدوى» (٣٢٥).

٦. بيان الفروق بين المفردات كقوله في توضيح اختلاف كلمتي «الأسرى» و«الأسارى» في

بيت عمرو:

لَيْسَ تَلِينٌ أَبَدَاناً وَبَيْضاً وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَ
 «والأسرى: جمع أسير، وأكثر أهل اللغة يذهب إلى أن الأسرى والأسارى واحد، وهو المشهور، وقال أبو زيد: الأسرى ما كان في وقت الحرب، والأسارى ما كان في الأيدي، وحكى السجستاني عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: الأسرى الذين جاءوا مستأسرين والأسارى الذين صاروا في الوثاق» (٣٤٥).

٧. بيان أصل اللفظة بأنها دخلت العربية من اللغة الفارسية أو اللغة الرومية أو غيرهما، قال في لفظه «قرمد» في بيت طرفه:

كَفَطَرَةَ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا لُتْكَتَنَفْنَ حَتَّى تَشَادَ بِقَرْمَدٍ
 "والقرمد: الأجر، الواحدة: القرمدة فارسي معرب" (٤٩).

وأشار في لفظه «السجنجل» إلى أنها لفظه رومية ناقلاً عن يعقوب (١٤٦).

النحو والإعراب

من مظاهر اهتمام أبي عمرو الشيباني بالنحو في شرحه على المعلقات هي:

ذكر الأوجه الإعرابية المحتملة لمفردات البيت، والنماذج من ذكره هذه الجوازات هي:

قال في شرح هذا البيت لامرئ القيس:

مُهْفَهْفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرٌ مُفَاضَةٌ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ

«ومهفهفة مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف والكاف في قوله كالسجنجل في موضع رفع نعت لقوله «مصقولة»، ويجوز أن يكون في موضع نصب على أن يكون نعتاً لمصدر غدوّن، كأنه قال مصقولة صقلاً كالسجنجل» (١٤٦).

وأشار إلى الأوجه الإعرابية حيناً، مفضلاً وجهاً منها على الآخر، معللاً لاختياره، كقوله

في لفظه «رفيع» في بيت لبيد:

فَبَنَوْا لَنَا بَيْتاً رَفِيعاً سَمَكُهُ فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَعَظْمُهَا

«ويجوز رفيع على معنى سمكه رفيع والأول أجود، لأن رفيعاً جاء على الفعل فهو نعت

لقوله «بيتاً» وسمكه رفع به» (٢٠٣).

وذكر حيناً آخر إعراب الجملة في الأبيات، واهتم بها كاهتمامه بإعراب المفردات، قال

في شرح البيت التالي لمعلقة عمرو:

وَنَوْجَدُ نَحْنُ أَمْنَعُهُمْ ذِمَاراً وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا الْيَمِينَ
«ونوجد خبر نحن، والجملته في موضع نصب» (٣٣٣).

وأشار حيناً ثالثاً إلى إعراب الألفاظ في البيت على حسب الروايات المختلفة لها، قال في شرح هذا البيت:

قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ
البيت للنابعة، قال أبو عمرو: «ويروى الحمام بالرفع والنصب، وكذلك نصفه، فإذا نصبته تكون «ما» زائدة، وإذا رفعته تكون «ما» كافة ليت عن العمل وما بعدها مبتدأ وخبر، كما تقول: إنما زيد منطلق» (٩٢).

. أشار إلى آراء الكوفيين والبصريين في قضايا نحوية، قال في شرح البيت السبعين لمعلقة عمرو:
إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرِ إِلَيْكُمْ أَلَمْ تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَا
«قوله: إليكم اسم للفعل فإذا قال القائل: إليك عني أي ابعد، وإلى في الأصل لانتهاه الغاية، أي تباعدوا إلى أقصى ما يكون من البعد، ولا يجوز أن يتعدى إليكم عند البصريين، فلا يقال: إليك زيدا لأن معناه تباعد» (٣٣٦).

. أشار إلى معاني الحروف في البيت: كإشارته إليها في الأبيات التالية، وإن كانت قليلة بالقياس إلى سائر شراح المعلقة بعده:

- «إلى» بمعنى «مع» في «إلى ذروة البيت» في بيت لمعلقة عمرو (٦٠).
 - «الباء» بمعنى «في» في «بالعشاء» في بيت لمعلقة امرئ القيس (١٥١).
 - «الباء» بمعنى «مع» في «بأنواع الهموم» في بيت لمعلقة الشاعر نفسه (١٥٥).
- . حدّد متعلّق الظرف والجار والمجرور؛ كقوله في حرف «على» في البيت التالي لمعلقة طرفه:
عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ قُلْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي نَشَدْتُ فَلَمْ أَعْقِلْ حَمُولَةَ مَعْبَدِ
«على متعلقة بلامني، ويحتمل أن تكون متعلقة بأياسني [في البيت السابق]» (٧٠).

الشواهد

شواهد أبي عمرو الشيباني تنحصر في القرآن الكريم، والأبيات الشعرية، والحديث النبوي والأمثال العربية، وفي السطور التالية نشير إلى كمية استشهاد أبي عمرو بهذه الشواهد وكيفيته ونذكر نماذج لكل من هذه الاستشهادات.

١. القرآن الكريم

أما استشهاد أبي عمرو الشيباني في شرحه بالآيات القرآنية كانت للأغراض التالية:

- شرح مفردة: كقوله في شرح الألفاظ التالية:

قال في بيان لفظة «مستأنس» في البيت التالي:

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا بِذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنَسٍ وَخِدِ

«والمستأنس: الناظر بعينه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ [النمل: ٧]، أي أبصرت

ومنه قيل إنسان لأنه مرئي» (٨٧).

- بيان قضية نحوية: قال أبو عمرو في شرح هذا البيت:

وَمُحَلَّمٌ يَسْمَعُونَ تَحَتَّ لِوَاتِهِمْ وَالْمَوْتُ تَحَتَّ لِوَاءِ آلِ مُحَلَّمٍ

«محلّم مرفوع بالابتداء والجملة في موضع نصب على الحال كما تقول: كلمت زيدا وعمرو

جالس، قال الله تعالى: ﴿يَعْمَى طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]

(٢٥١).

أو استشهد بالآية القرآنية في شرح إعراب الألفاظ في البيت التالي:

أَلَا أَيُّهَا هَذَا اللَّائِمِيُّ أَحْضَرُ الْوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي

«ومن رواه بالرفع فهو على تقديرين: أحدهما أن يكون تقديره: أن أحضر، فلما حذف

رفع، ومثله على مذهب سيبويه قوله [تعالى]: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤] المعنى

عنده أن أعبد. والقول الآخر في رفع أحضر وهو قول أبي العباس أن يكون في موضع الحال

ويكون «وأن أشهد» معطوف على المعنى، لأنه لما قال أحضر دل على الحضور كما تقول: من

كذب كان شراً له، أي كان الكذب شراً له» (٦٣).

- توضيح مسألة بلاغية: استشهد بالآية لبيان قضية «الالتفات» في البيت السادس لعنترة:

حَلَّتْ بِأَرْضِ الزَّائِرِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِيراً عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةَ مَخْرَمٍ

«وفيه رجوع الغيبة إلى الخطاب ومثله قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَذَا كَانَ

لَكُمْ جَزَاءً﴾ [الإنسان: ٢١-٢٢]، ومن الخطاب إلى الغيبة كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ

وَخَرَيْنَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢]» (٢١٣).

- شرح مسألة صرفية: القضايا الصرفية كالتي اهتم بها ابن الأنباري والنحاس في شرحيهما لا نجدها عند الشيباني وحتى القضايا كالإبدال والإدغام والإعلال التي شرحها لا نحصل عليها في شرحه، وإن لم يخل شرحه من بعض الإشارات القليلة هنا وهناك، كقوله في بيان الإبدال في لفظة «وَكُنَات» في بيت معلقة امرئ القيس: «وإن شئت أسكنت لثقل الضمة فقلت: وُكُنَات، وُغُرَفَات، وإن شئت أبدلت من الواو همزة فقلت: أكنات، ومثله [قوله تعالى]: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ﴾ [المرسلات: ١١] وإنما هو الوقت» (١٦٠).

- شرح عادات العرب اللغوية وآدابهم: وذلك في موضع واحد من شرحه وهو إشارته إلى أن العرب يستخدمون لفظتين بمعنى واحد، كما أن الشاعر عنتره استخدم لفظتي «أقوى» و«أقصر» وكلاهما بمعنى واحد، وقال: «وزعم أبو العباس إلى أنه لا يجوز أن يكرر شيء إلا وفيه فائدة... وكذلك قال في قوله تعالى: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، الشريعة: ما ابتدئ من الطريق، والمنهاج الطريق المستقيم، وقال غيره: الشريعة والمنهاج واحد وهما طريقان ويعني بالطريق هنا الدين» (٢٢٠).

وهناك ملاحظات على منهجه في الاستشهاد بالآيات القرآنية، هي:

- عدد الآيات الكريمة المستشهد بها في شرح الشيباني ٥٩ آية، وفي الجدول التالي صورة واضحة لتعداد الآيات المستشهد بها في شرح كل قصيدة ونسبتها المئوية:

الجدول رقم ٢. عدد الآيات المستشهد بها في شرح كل معلقة

المعلقة	عدد الآيات	النسبة المئوية
الأعشى	١	١ / ٦٩
طرفه	١٥	٢٥ / ٤٢
امرؤ القيس	١٣	٢٢ / ٠٣
زهير	١٣	٢٢ / ٠٣
عنتره	١٣	٢٢ / ٠٣
ليبيد	٤	٦ / ٧٧
المجموع (٦ معلقات)	٥٩	١٠٠

- استشهد الشيباني بالآيات الكريمة لأغراض مختلفة كما أشرت إليها سابقاً، والجدول التالي يوضح هذا الخلاف في عدد الآيات المستشهد بها في الأغراض المختلفة:

الجدول رقم ٢. أغراض الاستشهاد بالآيات القرآنية في شرح الشيباني وعددها ونسبتها المئوية

النسبة المئوية	عدد الآيات	غرض الاستشهاد بالآيات
٥٢/٥٤%	٣١	شرح الألفاظ الصعبة
٣٨/٩٨%	٢٢	بيان قضية نحوية
٥/١%	٣	شرح نكتة بلاغية
٣/٣٨%	٢	توضيح مسألة صرفية
١/٦٩%	١	بيان عادات العرب اللغوية
١٠٠%	٥٩	المجموع (٥ أغراض)

يبدو من الجدول أن أقدم شروح المعلقات كشرح الشيباني قد خصص أكثر شواهد القرآنية لشرح الألفاظ والنحو، وهذا يدلنا على ظاهرة لامعة في الشرح منذ أوائل كتابة الشروح، ألا وهي الاهتمام بالمفردات والنحو.

- في موضع واحد من شرحه قال مشيراً إلى اللغتين في لفظة «مجرم»: «يقال: أجرم، وجَرم، وأجرم أفصح، وبهما جاء القرآن الكريم» (١٩٧).

فتشاهد أنه أشار إلى القرآن الكريم دون أن يزودنا بشاهد واحد من قول الله سبحانه، قال تعالى في كتابه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢]، وقال سبحانه أيضاً: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ﴾ [السبا: ٢٥].

- لم يذكر رقم الآية والسورة للآيات التي استشهد بها في شرحه.

- بدأ استشهاده بالآيات بقوله: «قال الله تعالى»، وقوله تعالى، وقوله عز وجل، ومثله، وكذلك».

٢. الحديث النبوي الشريف

استشهد الشيباني بالحديث النبوي الشريف في أربعة مواضع من شرحه؛ اثنان منها في

شرح الألفاظ، هما:

الأول: قال في شرح لفظة «الجثوة» في البيت السبعين لمعلقة طرفة:
 تَرَى جُثُوتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا صَفَائِحِ صُمِّ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدٍ
 «والجثوة التراب المجموع، يقال للرجل: إنما هو جثوة اليوم أو غد، ويقال لكل مجتمع
 جثوة، والجمع جثى، وفي الحديث: «من دعا دعاءَ الجاهلية فإنه من جثى جهنم» [الهيثمي،
 ١٩٩٩، ج ٢، ص ٨٦٨] أي من جماعات جهنم» (٦٧).

الثاني: في شرحه البيت الثاني لمعلقة عنتره:
 يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعَمِي صَبَاحاً دَارَ عِبْلَةَ وَأَسْلَمِي
 قال في لفظة «عمي»: «قال الفراء: عمي وأنعمي واحد، ...، ويروى أن أباذر لما أتى النبي
 ﷺ، فقال له: أنعم صباحاً، فقال له النبي ﷺ: إن الله قد أبدلني منها ما هو خير منها
 [لم أعر على الحديث في كتب الحديث وشروحها]، فقال له أبوذر: ما هي؟ قال: السلام» (٢١٧).

وفي موضع واحد استشهد الشيباني بالحديث لشرحه ما كان للجاهليين من الاعتقاد
 بالهامة، قال في شرح بيت لمعلقة طرفة: «وكانوا في الجاهلية يقولون إذا مات الميت خرجت
 من قبره هامة تزقو عليه، وكانوا يُسمون الصوت الصدى، فأبطل ذلك الإسلام فقال عليه
 السلام: «لا عدوى ولا هامة ولا صقر» [البيهقي، ١٣٤٤، ج ٧، ص ٢١٦] (٦٦).

وفي موضع واحد أيضاً من شرحه استشهد بالحديث لبيانه تشبيه العرب كل متحرك
 نشيط بالحية: «العرب تقول لكل متحرك نشيط: رأسه كراس الحية، وأما الحديث الذي روي
 في صفة الدجال: «كأن رأسه أصل» [الطبراني، ١٩٨٣، ج ١١، ص ٢٧١]، فإن الأصل الأفعى»
 (٧٤).

٣. الشعر العربي

أما الشواهد الشعرية في شرح أبي عمرو الشيباني فكانت للأغراض التالية:

- شرح مفردة: وذلك كشرحه الألفاظ التالية:

لفظة «أغرک» في بيت لمعلقة امرئ القيس: الغر الذي لم يجرب الأمور، وقال:
 يَا رَبِّ مِثْلِكَ فِي النِّسَاءِ غَرِيرَةٌ بِيضَاءٍ قَدْ مَتَّعْتَهَا بِطَّلَاقٍ
 (الشيباني، ٢٠٠١، ص ١٣٨)

أو استشهد ببيت لبيانه تذكير كلمة ما أو تأنيثها، قال في توضيح لفظة «السلم»: والسلم

بكسر السين وفتحها: الصلح يذكر ويؤنث، قال:

فَلَا تُقَيِّنَنَّ إِنَّ السَّلْمَ أَمِنَةٌ مَلَسَاءٌ لَيْسَ بِهَا وَعَتْ وَلَا ضَيْقٌ
(الشيباني، ٢٠٠١، ص ١٩٥)

- بيان قضية نحوية: قال في بيان إعراب لفظة «يؤخر» في البيت الـ ٢٩ لمعلقة زهير: «وقال

بعض أهل اللغة «يؤخر» بدل من «يعلم»... وكما قال الشاعر:

مَتَى تَأْتِنَا تَلْمِمْ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدَ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأَجَّجًا
فَأَبْدَلْ تَلْحَمَ مِنْ تَأْتِنَا» (١٩٩).

أو استشهد بالبيت الشعري لشرح قضية في النحو، كقوله مشيراً إلى قاعدة العطف على التوهم في شرح البيت التالي:

وَوَظَلَّ طُهَاهُ اللَّحْمَ مَا بَيْنَ مُنْضِجٍ صَفِيفٌ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ
وشرح هذا أنك لو عطفت اسماً على اسمٍ وجاز لك فيه إعرابان، فأعربته بأحدهما، ثم عطفت الثاني عليه، جاز لك أن تعربه بما كان يجوز في الأول، فتقول: هذا ضارب زيد وعمرو، وإن شئت قلت: هذا ضارب زيد وعمراً؛ لأنه قد كان يجوز لك أن تقول: هذا ضارب زيداً وعمراً، وكذلك تقول: هذا ضارب زيداً وعمرو؛ لأنه قد كان يجوز لك أن تقول: هذا ضارب زيد وعمرو، فهذا يجيء على مذهب سيبويه وأنشد:

مَشَائِمٌ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلَا نَاعِبٌ إِلَّا بِشَوْمٍ غَرَابُهَا
(الشيباني، ٢٠٠١، ص ١٦٩)

- بيان الحادثة التاريخية: نقصد بالحادثة التاريخية هنا أن الشيباني استشهد بالشعر

لشرح سبب إنشاد المعلقة عند بعض الشعراء، كقوله في شرح سبب إنشاد قصيدة عبيد وذلك السبب الذي يشبه الأسطورة أكثر منه إلى الواقع، وأشار إلى ما قاله المالكي في الشاعر وأخته، قائلاً: "فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له ومعه أخته ماوية ليورد غنمه، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبهه، فانطلق حزيناً مهموماً لما صنع به المالكي حتى أتى شجيرات فاستظل هو وأخته تحتهن، وناما فزعم أن المالكي نظر إليه نائماً وأخته إلى جنبه فقال:

ذَاكَ عَيْدٌ قَدْ أَصَابَ مِيًّا يَا لَيْتَهُ أَلْفَحَهَا صَبِيًّا
فَحَمَّأَتْ فَوَلَدَتْ ضَاوِيًّا

فسمع عبيد، فسأه ذلك فرفع يديه نحو السماء فقال: اللهم إن كان هذا ظلمي ورماني بالبهتان فأذن لي منه ثم نام ولم يكن قبل ذلك يقول شعراً... ثم اندفع في الشعر فقال:
أَقْفَرٌ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقَطِيبِيُّاتُ فَالذَّنُوبُ
(الشيباني، ٢٠٠١، ص ١٠١)

. شرح عادات العرب اللغوية وآدابهم: وذلك في موضع واحد من شرحه، وهو إشارته إلى أن العرب يستخدمون لفظتين بمعنى واحد، كما أن الشاعر عنتره استخدم لفظتي «أقوى» و«أقفر» وكلاهما بمعنى واحد، وقال مستشهداً ببيت ونصف بيت: «وأقفر معناه كأقوى، إلا أن العرب قد يكررون إذا اختلف اللفظان وإن كان المعنى واحداً كقول الحطيئة:
أَلَا حَبَّبَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبَعْدُ
وَالنَّأْيُ وَالْبَعْدُ وَاحِدٌ، وكقول الآخر:
فَقَدْ تَرَكَتْكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبٍ
وهما بمعنى واحد» (٢١٩).

أما آداب العرب فقال في شرح البيت الـ ٧٥ لمعلقة امرئ القيس:
فَمَنْ لَنَا سِرْبٌ كَأَنْ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُمْلَاءٍ مُذَيَّلٍ
قال موضحاً لفظ «دوار» في البيت، مشيراً إلى ما كان لهم من آدابهم في طواف الكعبة عراً: «ودوار اسم صنم في الجاهلية كانوا يطوفون حوله وهم عراة وأتى بعضهم إلى بني عدي فوجدهم يطوفون بدوار عراة فأعجبه ما رأى من محاسن النساء، فقال:
أَلَا يَا لَيْتَ أَخْوَالي عَدياً لَهُمْ فِي مَا أَتَوْا دَوَارُ
وكذلك كانوا يطوفون في البيت الحرام عراة أيضاً في الجاهلية، فقالت امرأة:
اليوم يبدو بعضه أو كلّه وما بدأ منه فلا أحلّه
أَصَمُّ مِثْلُ الْقَعْبِ بَادٍ ظُلُّهُ
إلا الحمس وهم قريش فيطوفون في ثيابهم، النساء في الليل والرجال في النهار وكانت المرأة منهم تتخذ مسابح من سيور فتعقلها بحقوبها وتضمهما وتدور الدوران بعينه» (١٦٧).

هناك ملاحظات في استشهد الشيباني بالشعر، منها:

. الجدول التالي يظهر عدد الأبيات المستشهد بها في شرح كل قصيدة:

الجدول رقم ٤. عدد الأبيات المستشهد بها في شرح كل معلقة

المعلقة	عدد الأبيات	النسبة المئوية
الأعشى	٣	٥ / ٣٥ %
طرفة	٩	١٦ / ٠٧ %
عبيد	٢	٣ / ٥٧ %
امرؤ القيس	٢٣	٤١ / ٠٧ %
زهير	٨	١٤ / ٢٨ %
عنتر	٨	١٤ / ٢٨ %
لبيد	٣	٥ / ٣٥ %
المجموع (٧ معلقات)	٥٦	١٠٠ %

القصيدة التي اختص بها أكثر الأبيات بشرحها هي قصيدة امرئ القيس إذ استشهد الشيباني بـ ٢٣ بيتاً في شرحه، في حين أن الأبيات المستشهد بها في شرح معلقة عبيد بن الأبرص أقل من سائر أخواتها وهي بيتان فقط.

. الجدول التالي يوضح عدد الأبيات المستشهد بها في كل من الأغراض التي أشرنا إليها سابقاً:

الجدول رقم ٥. أغراض الاستشهاد بالأبيات وعددها ونسبتها المئوية

غرض الاستشهاد بالأبيات	عدد الأبيات	النسبة المئوية
شرح الألفاظ الصعبة	٢٨	٥٠ %
بيان قضية نحوية	١٩	٣٣ / ٩٢ %
بيان الحادثة التاريخية	٥	٨ / ٩٢ %
شرح عادات العرب اللغوية وآدابهم	٤	٤ / ١٤ %
المجموع (٤ أغراض)	٥٦	١٠٠ %

. لم يهتم الشيباني اهتماماً بالغاً لقائلي الأبيات المستشهد بها في شرحه، وفي ٣٦ موضعاً من استشهاده بالأبيات الشعرية لم يُشر إلى اسم القائل وهذا العدد يشكل ٦٤ / ٢٨ % من الأبيات المستشهد بها، ولكنه أشار إلى أسماء الشعراء ومن بينها أسماء الشعراء الجاهليين

ك «الأعشى» (١٨، ٦١)، «امرئ القيس» (١٣٩، ١٥٠، ٢٩٣)، «الشماخ» (١٦٨)، «حاتم» (١٢٨)، «طرفة» (٧٠)، «عنترة» (١٨٠)، «الربيع بن زياد العبسي» (٢٤٦)، «الأفوه الأودي» (١٩٣). وأسماء المخضرمين ك «حسان» (٢٤٧)، «الحطيئة» (٢١٩)، «سُحيم بن وثيل» (٢٨٩). ومن بين الشعراء الإسلاميين استشهد فقط بيت لـ «عمر بن أبي ربيعة» (١٧٣).

. فقد ذكر . في الغالب . البيت كاملاً واكتفى في بعض الأحيان (سبعة مواضع) بذكر شطرٍ واحدٍ منه.

. نظراً إلى أن أبا عمرو لم يشرح معلقة عبيد بن الأبرص فالبيتان اللذين استشهد بهما في هذه المعلقة هما في بيانه سبب إنشاد القصيدة في المقدمة التي ذكرها. السبب الذي يشبه الأسطورة ولكن أبا عمرو نقلها دون أي نقد أو توضيح، ولا نعلم هل نفسه ذهب إلى هذا الأمر وصدق السبب أم لا؟

. لم يستشهد أبو عمرو في شرح معلقة النابغة ومعلقة عمرو بن كلثوم ببيت شعري.

٤. الأمثال العربية

استشهد الشيباني بالأمثال في ثلاثة مواضع من شرحه وكان كلها في المواضع اللغوية، هي:

. قال في شرح البيت الـ ٣٤ لطفرة:

وَصَادِقَتَا سَمِعَ التَّوَجُّسَ لِلسُّرَى لِهَجَسِ خَفِيٍّ أَوْ لَصَوْتِ مُنْذَدِّ

«وقيل للنهر سري، سمي بهذا لأن النهر يسري فيه الماء، قال المبرد خص النهر بهذا الاسم من قولهم: «خير المال عين ساهرة لعين نائمة» (الميداني، ٢٠٠٣، رقم ١٣٠٢) أي لا تنام وإن نمت عنها» (٥٤).

. قال في شرح عبارة «ووادٍ كجوف العير» في البيت الـ ٤٩ لمعلقة امرئ القيس، بعد أن أشار

إلى القولين فيها ذكر أنها «تضرب به الأمثال فيما لا بقية فيه» (١٥٩)، والمثل في مجمع الأمثال هو: أخلى من جوف الحمار، أو أخلى من جوف العير (الميداني، ٢٠٠٣، رقم ١٣٦٤).

. في شرح البيت العشرين لمعلقة زهير:

تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَاناً بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقَّقُوا بَيْنَهُمْ عَطَرَ مَنْشِمِ

إذ الشاعر ذكر «عطر منشم» ووضح أبو عمرو ذيل هذا البيت الاختلافات في سبب هذا القول: «ومنشم اسم امرأة عطارة من خزاعة، ويقال جرهمية يشتري منها الحنوط، فإذا

حاربوا كانوا يشترون منها الحنوط والكافور لموتاهم فتشأموا بها، ويقال إن قوماً تحالفوا فأدخلوا أيديهم في عطرها ليتحرموا به ثم خرجوا إلى الحرب فقتلوا جميعاً فتشاءمت العرب بها، يقول: فصار هؤلاء بمنزلة أولئك في شدة الأمر، وقال أبو عمرو بن العلاء عطر منشم إنما هو من التشميم ومنه قولهم لما نشم الناس في أمر عثمان، وقال أبو عبيدة منشم اسم وضع لشدة الحرب وليس ثمّ امرأة كقولهم جاءوا على بكرة أبيهم وليس ثمة بكرة» (١٩٤). وأشار الميداني أيضاً إلى أن الرواة اختلفوا في لفظ ذلك الاسم «منشم» وفي اشتقاقه وفي سبب المثل، وبعد أن ذكر السبب المشار إليه في شرح أبي عمرو الشيباني قال: «كانت منشم عطارةً تتبع الطيب، فكانوا إذا قصدوا الحربَ غَمَسُوا أيديهم في طيبها وتحالفوا عليه بأن يستमितوا في تلك الحرب ولا يُؤلُّوا أو يُقتلوا، فكانوا إذا دخلوا الحربَ بطيب تلك المرأة قالوا: ودقوا بينهم عطر منشم، فلما كثر منهم هذا القول سار مثلاً، ويقال: أشأم من عطر منشم» (الميداني، ٢٠٠٣، رقم ٢٠٢٨).

الرواية

بما أن الشيباني كان رواية شهيراً في رواياته وجمع مجموعة كبيرة من الشعر الجاهلي فله المن على كل من يهتم بالعربية لحفظه هذه الأشعار من يد الضياع فتراه في شرحه على المعلقات أيضاً اهتم برواية أبياتها المختلفة، قال في شرح البيت الـ ٣٨ لمعلقة امرئ القيس:

هَصَرْتُ بِفَوْدِي رَأْسَهَا فَتَمَائِلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الْكَشْحِ رِيًّا الْمُخْلَجَلِ

في بيانه جواب «لما» مشيراً إلى جواز كون الواو مقحمة أو غير مقحمة وذكر رواية البيت تاليه بناءً على الإعراب: «وزعم بعضهم أن جواب لما قوله: انتحى بنا، والواو مقحمة ويجوز أن تكون الواو غير مقحمة والجواب محذوفاً تقديره: فلما أجزنا ساحة الحيّ أمنّا وعلى هذا الوجه تكون رواية البيت الذي يليه: إذا قلت هاتي نوّليني تمايلت، ويروى: مددت بغصني دومة» (١٤٤).

أو يلاحظ أنه أشار إلى الرواية في شرح البيت دون أي توضيح آخر، قال في شرح البيت الأحد عشر للنايعة:

سَرَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَازِ سَارِيَّةٌ تُزْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ

«ويروى جامدُ البرد» (٨٨).

أو قال في بيت لعنترة:

عَهْدِي بِهِ مَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ الْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْمِ
«ويروى: خُضِبَ الْبَنَانُ» (٢٤٧).

المعنى

بالنسبة إلى المعنى في شرح الشيباني - نظراً إلى المنهج الإيجازي الغالب في شرحه - فيشرحه في بعض الآيات بعد أن فسّر الألفاظ الغريبة والكلمات الصعبة في البيت، وكثيراً ما يغفل بيان المعنى في شرحه. ولكننا نجد في بعض مواضع أنه يعجب بمعنى البيت كقوله في شرح البيت ٦٤ لمعلقة امرئ القيس:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
«والمعنى أن هذه الفرس من سرعته يلحق الأوبد فيصير لها بمنزلة القيد، وهذا الكلام جيد بالغ لم يسبقه إليه أحد» (١٦١).

ومن مظاهر شرح المعنى في شرح الشيباني أيضاً أنه أشار إلى مرجع الضمير في إعرابه، كقوله في «سقته» في البيت العاشر لمعلقة طرفة:

سَقَّتْهُ إِيَاةُ الشَّمْسِ إِلا لِنَاتِهِ أُسِفَّ وَلَمْ تَكْدِمِ عَلَيْهِ بِإِثْمِدِ
«والضمير في سقته للتمر» (٤٣).

أو قال في مرجع الضمير في «له» في البيت الثاني عشر للنابغة:

فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابِ فَبَاتَ لَهُ طَوَّعَ الشَّوَامِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرْدِ
«والهاء في قوله «له» عائدة على الكلاب» (٨٨).

إذ كشف مرجع الضمير في الجملة من العوامل المؤثرة في فهم المعنى.

النقد

لم يهتم الشيباني بالنقد في شرحه كثيراً ولكن نجد في شرحه بعض الإشارات تدل على الروح النقدية لديه، منها:

قال في شرح البيت ٥٦ لمعلقة امرئ القيس:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

«ويروى: وما الإصح منك بأمثل، فد«منك» يُنوى بها التأخير، لأنها في غير موضعها لأن حق «من» أن تقع بعد «أفعل»، وأما قولهم في قوله ناب فهو في مكان المعنى ناب منها بخبر فهو غلط، لأن الشئ إذا كان في موضعه لم يقدر في غير موضعه فحق من ارتفع بعد أفعل، وهي في موضعها» (١٥٦).

أو في شرح البيت الـ١٠٩ معلقة عنتره:

وَلَقَدْ شَفَى قَلْبِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهُ قَوْلُ الْفَوَارِسِ وَيَّكَ عَنَّتْ أَقْدِمِ

قال مشيراً إلى الأقوال المختلفة في معنى لفظه «ويك» ناقداً هذه الآراء: «وقوله «ويك» معناه ويحك، وقد قال بعضهم معناه ويك، وكلا القولين خطأ؛ لأنه كان يجب على هذا أن يقرأ: ويك أنه، كما يقال: ويك أنه وويحك أنه. على أنه قد احتج صاحب هذا القول بأن المعنى ويك اعلم [لقوله تعالى]: ﴿وَيُكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢]، وهذا خطأ من جهات: إحداها: حذف اللام من ويك، وحذف اعلم، لأن مثل هذا لا يحذف، لأنه لا يعرف معناه، وأيضاً وأن المعنى لا يصح، لأنه لا يدري من خاطبوا بهذا. وروي عن أهل التفسير أن معنى «ويك»: ألم تروا ما ترى، والأحسن في هذا ما روى سيبويه عن الخليل وهو أن «وي» مفصولة كأنه قالوا على التندم» (٢٥٥).

من مظاهر النقد عند أبي عمرو الشيباني في شرحه على المعلقات أنه كان يشير إلى بعض المقاييس الجمالية عند العرب، وهذا يجعل قارئ شرحه يطلع على ما كان عند الجاهليين يُستحسن أو يُستقبح، كقوله في الأبيات التالية:

قال في شرحه لفظه «المشفر» في البيت الـ٣٢ لطفرة: «والمشفر من البعير، كالشفة من الإنسان والسبت جلود البقر إذا دبغت بالقرظ فإن لم يدبغ بالقرظ فليس بالسبت، وإنما أراد: مشافرها طوال كأنها نعال السبت وذلك مما يمدح به» (٥٢).

أو قال في شرح البيت التسعين له: «الضرب: الرجل الخفيف اللحم، يقول: أنا الضرب الذي عرفتموه والعرب تُمدح بخفة اللحم لأن كثرت دأعية للكسل، والفضل، والثقل، ويمنع من الإسراع في دفع الملمات وكشف المهمات» (٧٤).

وقال في توضيح لفظه «الحد» بعد أن أشار إلى أصل اللفظة: «وأصل الحد استرخاء عصب في يد البعير من شدة العقال، وربما كانت خلقةً وإذا كانت به نفض يديه وضرب بهما

الأرض ضرباً شديداً وهذا عيب فيه» (٨٨)، كما أشار إلى أن الأعزل عيب في الخيل: «بضافٍ أي ذنب طويل والأعزل الذي ذنبه في شقٍ، وهو عيب في الخيل» (١٦٦).

الخاتمة

مما حصل خلال البحث في دراسة منهج أبي عمرو الشيباني في شرحه على المعلقات أن: هناك بعض الدلائل والقرائن تُثبت أن الشرح لا يكون لأبي عمرو الشيباني منها أن هناك بعض الإشارات إلى العلماء الذين عاشوا بل ولدوا بسنين بعد الشيباني، وهناك الاهتمام البالغ بالنحو ومسائله... وهذا مما يجعلنا نشك في نسبة الشرح هذا إلى أبي عمرو وإن يتطلب الأمر دراسة أسلوبية واسعة في تأليفات أبي عمرو.

المنهج الغالب لشرح الشيباني - إذا اعتبرناه له حقيقة - هو الإيجاز والاختصار، فضلاً عن أنه لم يشرح كثيراً من أبيات المعلقات في شرحه.

شأنه في الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأمثال والشعر العربي شأن الشراح الآخرين كابن الأنباري، والنحاس إلا أن كمية شواهده أقل بكثير منهما.

كون الشيباني راوية شهيراً يجعله يهتم برواية الأبيات في شرحه على المعلقات ويتسم شرحه بسمة الرواية إلا أنه شرح الألفاظ الغريبة والمفردات الصعبة إذ يُعتبر فهمها مفتاح فهم المعنى.

المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الأصفهاني، أبو الفرج (١٩٨٦). الأغاني. ١٥ ج، شرحه وكتب هوامشه يوسف علي طويل. بيروت: دار الكتب العلمية.
٣. ابن النديم، أبو الفرج محمد (١٩٩٦). الفهرست. بيروت: دار الكتب العلمية.
٤. البيهقي، أحمد بن الحسين (١٣٤٤هـ). السنن الكبرى وفي ذيله الجواهر النقي. حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة.
٥. الجاسر، حمد (١٤١٠هـ). نظرات في كتاب الجيم لأبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني. مجلة العرب، ٢٤، الجزء ٧ و ٨ (ربيع الأول وربيع الثاني ١٤١٠هـ): ص ٦٣٠-٦٥٤.
٦. الحطيئة، جرول بن أوس (١٩٩٣). ديوان الحطيئة. برواية وشرح ابن السكيت. دراسة وتبويب لمفيد محمد قميحة. بيروت: دار الكتب العلمية.
٧. الحموي، شهاب الدين ياقوت (١٩٨٠). معجم الأدياء. ط ٣، بيروت: دار الفكر.
٨. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (دون تا). تاريخ بغداد أو مدينة السلام. بيروت: دار الكتب العلمية.
٩. الزمخشري، محمود بن عمر (١٩٩٣). المفصل في صنعة الإعراب. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
١٠. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (١٣٨٤هـ). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. بيروت: المكتبة العصرية.
١١. الشيباني، أبو عمرو إسحاق بن مرار (٢٠٠١). شرح المعلقات التسع. تحقيق وشرح عبد المجيد همّو. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٢. الطبراني، سليمان بن أحمد (١٩٨٣). المعجم الكبير. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. الموصل: مكتبة العلوم وحكم.
١٣. المجمع الثقايف (٢٠٠٣). الموسوعة الشعرية: قرص الكتروني يحتوي على مجموعة ضخمة من الدواوين الشعرية والكتب الأدبية والمعاجم اللغوية. أبوظبي.

١٤. المبرّد، محمد بن يزيد (١٩٨٩). *الكامل في اللغة والأدب*. بيروت: دار صادر.
١٥. الميداني، أبو الفضل (٢٠٠٣). *مجمع الأمثال*. تحقيق وشرح قصي الحسين، بيروت: دار ومكتبة الهلال.
١٦. النحاس، أبو جعفر أحمد (دون تا). *شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات*. بيروت: دار الكتب العلمية.
١٧. الهيثمي، ابن حجر (١٩٩٩). *الزواجر عن اقتراف الكبائر*. بيروت: المكتبة العصرية.
١٨. حاجي خليفه، مصطفى بن عبد الله (دون تا). *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*. بيروت: دار الفكر.
١٩. عامر بن الطفيل (١٩٧٩). *ديوان عامر بن الطفيل*. رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب. بيروت: دار صادر.
٢٠. كامل، مراد (١٩٧٣). *أبو عمرو الشيباني*. مجلة مجمع اللغة العربية، ٣٢، (نوفمبر ١٩٧٣)، ص ٣٥-٤٠.